مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Journal of Social Sciences and Humanities

المجلد: 15/ العدد: 02 (2025)،
ص 813-833

ظاهرة العدول في أسماء الإشارة - نماذج من القرآن الكريم - دراسة نحوية بلاغية

The phenomenon of deviation in demonstrative pronouns - examples from the Holy Qur'an - a grammatical and rhetorical study

ط. د. محمد طاهر [1-*]

[1-] جامعة الجزائر1 يوسف بن خدة . كلية العلوم الإسلامية (الخروبة) .

مخبر الشريعة، الجزائر.

elmobarid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/10/13 تاريخ القبول: 2025/11/11 تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص:

تتناول هذه الدراسة مظهرا من مظاهر العدول في القرآن الكريم، مقتصرة على دراسة جزئية من جزئياته وهي ظاهرة العدول في أسماء الإشارة (نماذج من القرآن الكريم) متمثلة في بيان أغراض هذه الظاهرة والوقوف عند سر استعمال القرآن الكريم لها، ولا شك أن هذه التحولات لم تقع على وجه الاتفاق أو المصادفة، بل كانت مقصودة لبيان الأبعاد الجمالية والنكت البيانية التي من خلالها حصل هذا التحول والتنوع، وذلك لأن الأصل مطابقة المشار به للمشار إليه في هذا الباب، والخروج عن مقتضاه الظاهر باعث على النظر والتساؤل، ولم يرد في القرآن الكريم ما ظاهره ملتبس إلا له أسرار ودلالات مكنونة في ألفاظه وتراكيبه، وإن عجز عن فهمها الراسخون في العلم، وعلى هذا الأساس يحاول الباحث الوصول إلى إظهار النكت التي ترتبت عن هذا العدول في أسماء الإشارة، كالقرب والبعد والتعظيم والتحقير، وإرادة المذكور، مستعينا في هذا بكتب التفسير واللغة وما له صلة بهذا الموضوع.

كلمات مفتاحية: نماذج من القرآن الكريم، دراسة نحوية بلاغية، أسماء الإشارة، ظاهرة العدول.

Abstract:

This study examines one aspect of linguistic deviation (al-ʿudūl) in the Holy Qur'an, focusing specifically on the phenomenon of deviation in demonstrative pronouns, as

* المؤلف المرسل: محمد طاهر ، الإيميل: elmobarid@gmail.com

CC BY NC

illustrated through selected Qur'anic examples. It aims to identify the purposes behind this phenomenon and uncover the rhetorical wisdom in the Qur'anic usage of such deviations. Undoubtedly, these linguistic shifts did not occur arbitrarily or by coincidence; rather, they were deliberate, intended to reveal aesthetic dimensions and rhetorical subtleties reflected in the structure and expression of the Qur'anic text.

In principle, the demonstrative pronoun should correspond with the entity it refers to. Thus, any departure from this norm invites reflection and inquiry. Nothing in the Qur'an appears ambiguous or inconsistent without underlying meanings and indications, manifested in its wording and composition—even if such subtleties may elude even the most learned scholars.

Based on this premise, the researcher seeks to reveal the rhetorical nuances resulting from these deviations in demonstrative pronouns—such as expressing proximity or distance, magnification or diminution, and the intentional reference to the mentioned entity—drawing upon sources in Qur'anic exegesis, Arabic linguistics, and related disciplines.

Keywords:

Examples from the Holy Qur'an – Grammatical and rhetorical study – Demonstrative pronouns – Phenomenon of deviation .

- **مقدمة:**

الحمد لله الذي يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار وبعد :

فإن اللغة العربية التي نزل بها القرآن تتسم بتعدد ألفاظها وتنوع أسلوبها وتراكيبها، وهذا التنوع والاتساع وما تشتمل عليه من مزايا سبيل للتعبير عن المعاني الدقيقة، بصيغ وقوالب محكمة ومحددة، ومن جملة هذه الأبنية أو الأساسيات أسماء الإشارة، التي من وظيفتها أنها تميز لنا المشار إليه عن غيره مما هو مشاهد ومحسوس، أو ما ينزل منزلته، وإن من وظيفة هذه الأدوات واستعمالها:

-دلالتها على الغيبة والحضور والمذكر والمؤنث، إفرادا أو تثنية أو جمعا، وعلى الزمان والمكان والقرب والبعد، وربما خرجت عن هذا المقتضى لأغراض أخرى يقتضيها المقام والسياق، كما يتضح جليا في دراستنا هذه.

وإن ظاهرة العدول في هذه الأدوات واختلاف اطلاقاتها أحيانا ليس أمرا اعتباطيا، بل هو دلالي، لا محالة أنه يحتوي على أسرار لغوية دقيقة تصريحا أو تلميحا، فقد يستعمل القرآن الكريم طورا إشارة القرب بدل إشارة البعد، والمفرد موضع المثنى والعكس، وذلك بحسب المقتضي في الكلام.

وإن من أهم ما يقودنا إلى هذه الدراسة الاطلاع على معاني هذه الظواهر، التي أثارت إشكالات واختلافا بين المفسرين واللغويين في فهم المقصود من نحو استعمال إشارة البعد عوض إشارة القرب وعدم المطابقة بين التذكير والتأنيث، وعلى هذا فينبغي لنا الوقوف عندها وقفة تأمل يتضح من خلالها سر خروجها عن أصلها المألوف، إذ قد يتوهم أنها لا تحيد عنه، وأنها قواعد مقررة ثابتة غير متنوعة الدلالة، والواقع بخلاف ذلك .

- **أهداف البحث :**

ويهدف البحث إلى دراسة ظاهرة العدول في أسماء الإشارة في القرآن الكريم نحويا وبلاغيا مقتصرا على نماذج منه وذلك لطول الكلام عن هذا الموضوع.

ويريد الباحث الوقوف على المواضع التي حصل فيها التناوب بين صيغ أسماء الإشارة، مبينا فيها الأغراض والأسرار التي دعت إلى هذا التحول والتنوع في الأسلوب القرآني، كالدلالة على التعظيم والتحقير والقرب والبعد والتأويل بالمذكور ونحو ذلك من الأغراض التي سيأتي بيانها في الدراسة التطبيقية وهذه ظاهرة قد أبرزت وجها من أوجه الإعجاز ي القرآن , وقد أثارت انتباه المتلقي لهذا الأسلوب وذلك لخروجه عن النمط المعهود والسياق المطرد من المطابقة والجري على السنن المألوف , وهذا الأمر يدعو إلى البحث عن الأسرار والدلالة على هذه الظاهرة.

- **أهمية البحث:**

ومن هذا المنطلق تظهر أهمية البحث من خلال الموضوع الموسوم بـ: "ظاهرة العدول في أسماء الإشارة (نماذج من القرآن الكريم)" وهي من أهم الظواهر التي تدل على دقة التعبير القرآني وتفنن أسلوبه وبراعة نظمه، والاشتغال بدراسة هذا النوع يفتح بابا واسعا للنظر الدقيق والفهم العميق للمعاني, والتوصل إلى النكت البيانية وتعد هذه الظاهرة لونا من ألوان الإعجاز القرآني حيث يستعمل اسم الإشارة في غاية الدقة والعناية ليؤدي وظيفة بيانية مقصودة كالتعظيم والتحقير والقرب والبعد ونحو ذلك مما

يلفت انتباه السامع والمتلقي للتعرف على ما هو مضمر مكنون وراء هذه التحولات التي تعنى بالبحث كما سيأتي في الدراسة التطبيقية.

- **دواعي اختيار الموضوع:**

ولأهمية مضمون هذا البحث المتعلق بدراسة كلام الله تعالى حاول الباحث جمع أغراض أسماء الإشارة التي من خلالها وقع العدول وقد دفعتني أسباب لاختيار هذا الموضوع من أبرزها:

- تعلق الموضوع بالمعجزة الخالدة وهي القرآن الكريم الذي لا تنقضي أسراره وعجائبه

- كونه جزءا من اللغة العربية التي نالت شرفها وفضلها من كتاب الله عز وجل.

- عدم وجود دراسة مستقلة متخصصة في هذا الموضوع رغم وجود دراسات نحوية بيانية كثيرة حول هذا الموضوع إلا أن ظاهرة العدول في أسماء الإشارة لم تحض بدراسة غنية مستقلة مفصلة تفتح بابا للدارسين والمتخصصين.

- خروج هذه الأسماء عن مقتضاها الظاهر وهو خلاف المعهود والمقرر عند النحاة وهذا لا شك أنه يثير التساؤلات التي ينبغي الوقوف عند تفسيرها لتحقيق الأغراض البيانية الدقيقة.

- رغبة الباحث في الاشتغال بالدراسات القرآنية قصد التوصل إلى معرفة الأسرار والأغراض التي من خلالها حصل هذا العدول في أسماء الإشارة ولأجل أن هذا البحث متعلق بدراسة رسالتنا(الدكتوراه).

- **الدراسات السابقة:**

وأما عن الدراسات السابقة فإن هذا الموضوع في حدود علمي لم ينفرد بدراسة مستقلة تجمع صوره وتقف عند أغراضه في القرآن الكريم، إلا ما ورد مبثوثا في كتب التفسير، التي اعتنت بالجانب اللغوي والبياني كثيرا، كالكشاف وروح المعاني، وذلك من خلال تفسيرهم الآيات القرآنية، وقد وجدت رسالة دكتوراه في التذكير والتأنيث لصاحبها محمد عبد الناصر، تناول فيها بعضا من نكت اسم الإشارة كالمؤول بالمذكور أو إرادته ولم يستقص بقية الأغراض الأخرى.

- **إشكالية البحث :**

تعد ظاهرة العدول في أسماء الإشارة من الظواهر اللغوية الدقيقة في القرآن الكريم، تدل على عمق أسلوبه اللغوي الساحر، وقدرته على توظيف التحول المقصود عن الأصل لتحقيق مقصد بياني ودلالي، فإن عدول أسماء الإشارة عما وضعت له، من الدلالة على الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والقرب والبعد ونحو ذلك، دون إخلال بالمعنى، بل يزيده دقة وروعة، وعلى هذا الأساس نشأت الإشكالية:

- ما مفهوم العدول في أسماء الإشارة ؟

- وما هي الأسباب البلاغية التي بررت هذا العدول؟ وهل هو خرق للقواعد النحوية دون ترتب فائدة عليه ؟ أم أنه مقصود يرمي إلى تحقيق نكت بيانية أو دلالية ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات التي هي مضمون البحث، ارتأينا وضع خطة عمل نسير على وفقها وتتمثل في الآتي:

مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فقد اشتملت على تمهيد للموضوع وأهميته وأهدافه وأسباب اختياره والمنهج الذي يسير عليه الباحث والدراسات السابقة ومشكلة البحث، وأما المبحث الأول فكان شرحا لمصطلحات العنوان في مطلبين، وأما المبحث الثالث فقد خصص للدراسة التطبيقية في ثلاثة مطالب.

- **منهج البحث:**

وقد سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي متبعا الخطوات التالية:

- ذكر الآيات المعنية بالتوجيه والتحليل.
- ذكر اسم الكتاب ومؤلفه ومحققه ودار النشر زمانا ومكانا مع كتابة الجزء والصفحة.

1. تحليل مصطلحات العنوان:

1.1.مفهوم النحو والبلاغة والعدول:

1.1.1. مفهوم النحو:

النحو لغة: مصدر نحا ينحو نحوا قصد، بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، واللفظ بمعنى الملفوظ، ويدل على هذا أن عليا رضي الله عنه قال لأبي الأسود الدؤلي: "أنحُ هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك. (الأنباري، 1405هـ-1985م، صفحة 18)

وقد ذكرت معاجم اللغة معاني النحو، جمعها الإمام الدوادي[†] بقوله: (ابن منظور، 1414هـ) (الفيروزآبادى، 1426هـ) (الجوهري، صفحة 306)

للنحو سبع معان قد أتت لغة ** جمعتها ضمن بيت مفرد كملا

قصد ومثل ومقدار وناحية ** نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا

† - هو أبو نصر فتح بن أبي القاسم عبد الكريم بن أحمد الداودي الفقيه المالكي المفسر المحدث اللغوي (ت402هـ)، يعد من أوائل شراح الموطأ للإمام مالك، وله تفسير مفقود نقل عنه القرطبي في تفسيره، من تلاميذه: أبو الحسن اللخمي، أبو عبد الله المازري، من كتبه: البيان في شرح الموطأ، النصيحة في شرح صحيح البخاري، تفسير القرآن، أقام بالمسيلة واستقر بتلمسان وبها توفي سنة 402 هـ

واصطلاحا: تعددت آراء النحاة في تعريفهم النحو ولنقتصر على تعريف مختصر جامع لأبي حيان الأندلسي فيقول: "النحو علم بأحكام العربية إفرادا وتركيبا" (الأندلسي، 1988م)، فهذا التعريف متضمن النحو والصرف معا، فيكون حينئذ الصرف قسما من النحو لا قسيما له، وهذا الذي عليه سيبويه والمتقدمون، فموضوع الصرف الأحكام الإفرادية، وموضوع النحو الأحكام التركيبية.

وقد فصل النحو عن الصرف خالد الأزهري شارح التوضيح لابن هشام، بتعريفه النحو، يقول: " علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم إعرابا وبناء..." وغايته الاستعانة على فهم كلام الله ورسوله، فالإمام الأزهاري يرى أن النحو مستقل عن الصرف، وأن الغاية من علم النحو فهم كلام الله وهذا الذي يهمنا ويهم الباحثين في الدراسات القرآنية.

1.1.2. تعريف البلاغة لغة واصطلاحا:

علم البلاغة لغة: من بلغ الشيء بلوغا وبلاغا وصل وانتهى، وأبلغه إبلاغا وبلغه تبليغا... وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده... والبلاغ ما بلغك والبلاغ الكفاية... تقول له في هذا بلاغ وبلغة وتبلغ... والبلاغ الإبلاغ، والبلاغ الإيصال وكذلك التبليغ. (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 419)

اصطلاحا: لقد عرف الإمام القزويني البلاغة بقوله: " إن البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. (القزويني، 1993م، صفحة 5)

والحال هو الأمر الذي يحمل المتكلم على ايراد عبارته على هيئة مخصوصة دون أخرى، يعني هناك علاقة بين الكلام ومقتضى الحال، قائمة على المطابقة، فإنكار المُخَاطَبِ للحكم حال يقتضي التأكيد، والتأكيد هو مقتضى الحال، كقولك لمنكر الحكم: "إن زيدا لقائم" ولخالي الذهن: زيد قائم، فمقام التنكير مباين لمقام التعريف، ومقام التقديم مباين لمقام التأخير وهكذا، هذا بالنسبة لبلاغة الكلام، وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير... والبلاغة تكون صفة للكلام والمتكلم، يقال كلام بليغ ومتكلم بليغ، ولا يقال كلمة بليغة (القزويني، 1993م، صفحة 6)

ولا شك أن هناك ارتباطا وثيقا بين النحو والبلاغة، لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، إذ بهما يتوقف فهم كلام الله تعالى الذي نزل باللسان العربي .

1.1.3. مفهوم العدول:

إن مصطلح العدول ظاهرة منتشرة في كتب أرباب البلاغة والنحو، عند المتقدمين والمحدثين، ويعبرون عنه أحيانا بالنيابة والتعاقب والتعاور والتقارض والانحراف والخروج عن مقتضى الظاهر، كما اشتهر عند المحدثين إطلاق تسميات أخرى مرادفة له، كالانحياز والتجاوز والانحلال...إلخ.

وقد جاء تعريف لعدول لغة في كتب المواد بتعريفات كلها متقاربة منها:

من عدل عن الشيء يعدل عدلا وعدولا حاد وعن الطريق جار، وعدل إلى الشيء رجع، وعدل عنه عدولا مال، كأنه يميل عنه إلى غيره. (ابن منظور، 1414ه) (الفيروزآبادى، 1426ه) (ابن سيده، 1421ه-2000م)

واصطلاحا: عرفه الإمام الجرجاني في كتابه "التعريفات": "والعدل في اصطلاح النحويين خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى ويقرب من هذا التعريف قول ابن هشام: " العدول هو تحويل الاسم من حالة إلى حالة أخرى مع بقاء المعنى الأصلي."

ومن خلال التعريفين يظهر لنا أن معاني العدول كلها تدل على الانتقال والتحول من شيء إلى شيء آخر، ولا يكون إلا لفائدة لفظية أو معنوية أو بلاغية أو خصوصية اقتضت ذلك. (ضياء الدين بن الأثير، صفحة 145)

وقد استعمل النحاة المتقدمون والمتأخرون هذا المصطلح في كتبهم حيث يذكرون في باب الممنوع من الصرف العدول فيقولون: عمر معدول عن عامر، وأخر معدول عن آخر، وما أشبه ذلك.

وفي لامية الأفعال لابن مالك: (ابن مالك، 1442ه، صفحة 82)

وما أتى كفعيل فهو قد عدلا **به عن الأصل ...

يعني ما جاء على زنة فعيل بمعنى مفعول فهو معدول به عن الأصل، الذي هو وزن مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وما أشبه ذلك.

ويعد العدول وجها من أوجه الاعجاز القرآني، قد أكسب روعة وجمالية في التعبير، وهو مظهر لافت لانتباه المتلقي.

1.2.مفهوم اسم الإشارة:

1.2.1. أسماء الإشارة:

والإشارة في اللغة: من شور إليه "أومأ" كـ"أشار"، ويكون بالكف والعين والحاجب، والإشارة إلى الشيء تكون بواحد من هذه الأشياء الثلاثة أو ما يقوم مقامها. (ابن منظور، 1414ه)

واصطلاحا: عرفها بعض النحاة بقوله: " ما وضع لمشار إليه"، وترك بعضهم تعريفه بالحد اكتفاء بحصر أفراده بالعد (الأُشْمُوني، 1419ه- 1998م، صفحة 119)

والاشارة بمنزلة الكلام في تأدية المعنى، كما لو أشير باليد أو بالرأس إلى شخص افعل أو لا تفعل، وفي التنزيل: (فَأَشَارَتِ اِلَيْهِۖ)(مريم - 28) ففهموا إشارتها بدليل قالوا: (قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي اِلْمَهْدِ صَبِيّاًۖ)(مريم - 28)، ونحو قول الشاعر:

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا ** ونحن سكوت والهوى يتكلم (باي بلعالم، بلا تاريخ، الصفحة 6)

وكقوله:

إذا كلمتني بالعيون الفواتر ** رددت عليها بالدموع البوادر (درويش، 1415هـ، الصفحة 507)

والأصل في المشار إليه أن يكون حسيا ومشاهدا قريبا أو بعيدا، وقد يكون ذهنيا على خلاف الأصل، نحو: هذا الرأي وهذا المعنى.

وتتكون الإشارة من مشير وهو الذي تقع منه الإشارة، ومن اللفظ الموضوع للمشار إله الصادر من المتكلم، ومن المشار إليه وهو الذي تقع عليه الإشارة حسا أو معنى

أقسام أسماء الإشارة: يقسم النحاة ألفاظ الإشارة باعتبار الجنس إل قسمين: مذكر ومؤنث، وكل منهما إما مفرد أو مثنى أو جمع.

أ - فأما المفرد المذكر فيشار إليه بـ"ذا" للعقلاء وغيرهم حقيقة أو حكما، فالأول نحو: هذا محمد، وهذا المسجد، والثاني نحو: هذا النفر وهذا الفريق، لأنه مفرد لفظا جمع معنى، نحو قول الشاعر:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ** وسؤال هذا الناس كيف لبيد (ناظر الجيش، 1428هـ - 2007، الصفحة 813

فالشاهد في البيت قوله: (هذا الناس)، فالمشار إليه مفرد في اللفظ ومدلوله جمع. (ابن عقيل، 1400هـ- 1980م، صفحة 130)

وزاد النحاة من ألفاظ الإشارة إلى المفرد غير (ذا) المذكور آنفا – "ذاء" و"ذائه" – بهمزة مكسورة بعدها هاء، و"ذاؤه" بهمزة مضمومة بعدها هاء.

ب- وأما المفرد المؤنث فألفاظه: "ذي" و "ذه" باختلاس و"ذهِ" باشباع، و"تي" و"تا" و"ته" و"تهِ" باختلاس واشباع((الصبان، 2009م-1430هـ، صفحة 201) (ابن عقيل، 1400هـ- 1980م)

1.2.2. تثنية المذكروالمؤنث:

للمذكر "ذان" وللمؤنث "تان" رفعا، و"ذين" و"تين" نصبا وجرا.

الجمع: يشار إلى المذكر والمؤنث بـ: "أولئك" بالمد، وهي لغة الحجازيين، وقد نطق بها القرآن أكثرها للعقلاء نحو: (أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِّن رَّبِّهِمْۖ)(البقرة - 4)

ولغيرهم نحو قول الشاعر :

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى ** والعيش بعد أولئك الأيام. (ابن عقيل، 1400هـ- 1980م)

ويقال أولى بالقصر عند التميميين.

1.2.3. مراتب الإشارة:

للإشارة رتبتان قربى وبعدى، فالمشار إليه إن كان قريبا يجرّد لفظه من الكاف واللام، فيقال "ذا" و "ذي" وإن كان بعيدا فيقرن بالكاف وحدها أو بهما معا، فتقول : "ذاك" أو "ذلك."

والجمهور يرون الواسطة فيشار إلى المتوسط بالكاف دون اللام، وإلى البعيد بهما معا، ويجرد القريب منهما.

1.2.4. إشارة المكان:

وأما ألفاظ إشارة المكان، فيشار بـ: "هنا" للقريب، وهناك للمتوسط، و"هنالك" و"ثَمَّ" بالفتح، و"هُنَّا" و"هِنَّا" و"هَنَّا" للمكان البعيد، قال تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً)(الانسان - 20) ، وقال الشاعر:

هَنّا وهِنَّا ومن هُنَّا لهُنَّ بها ** ذات الشمائل والأيمان هينومُ

وهذه الألفاظ تختص بالمكان دون غيرها مما تقدم ذكره.

2. أغراض العدول في أسماء الإشارة:

2.1.ظاهرة القرب والبعد:

إن الأصل في اسم الإشارة مطابقته للمشار إليه، في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع مع الدلالة عليه اقربا أو بعد، وهذا هو الشائع والسائغ في القرآن الكريم، وفي كلام العرب نثرا وشعرا، لكن ربما عدل عن هذا النسق المألوف لأغراض بيانية أو غيرها، يقتضيها المقام، فيشار حينئذ بالبعيد للقريب والعكس، أو إطلاق صيغة الجمع على المفرد أو التثنية وكذا العكس، كما سيظهر لنا جليا من خلال الشواهد في الآيات القرآنية التي نتناولها في بحثنا هذا.

ومن جملة هذه النماذج:

• قوله سبحانه وتعالى: (الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ)

الاعراب: قوله: (ذلك) قيل: "الم" مبتدأ أول، و"ذلك" مبتدأ ثاني، و"الكتاب" خبره، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ الأول "ألم."

وقيل: "ألم" خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هذه"، على تقدير تفسير الحروف المقطعة بالسورة، و"ذلك" خبر ثان، ويكون "الكتاب" بدلا أو صفة، وجملة " لاريب فيه " خبر ثالث أو في محل نصب حال، ويحتمل أن هناك جملتين خبريتين "ألم" جملة، أي: "هذه"، و"ذلك الكتاب" جملة ثانية، وعليه يكون اعراب اسم الإشارة مبتدأ و"الكتاب" خبره، وجملة "لا ريب" خبر ثان أو حال.

لقد اختلفت آراء العلماء في تعيين النكتة البيانية في مجيء اسم الإشارة (ذلك) الموضوع للبعيد بدل (هذا) المستعمل للقريب في صدر الآية.

وكان مقتضى ظاهر استخدام (هذا) المشار به إلى الحاضر، وهو كتاب الله تعالى الذي بين أيدينا، وإن أهم ما ورد فيها من التوجيهات:

الأول: أن الإشارة فيه لإظهار رفعة المشار إليه، وهو الكتاب البعيد منزلته ومقامه، وقد جرت العادة أن الناس يجعلون الشيء النفيس في المرتفعات صونا له عن الامتهان والابتذال، والقرآن الكريم لا شك أنه أعظم شأنا وأعز منالا، (وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ)(فصلت - 41)، وهذا على تقدير أن المشار إليه حاضر((ابن عاشور، 1404هـ - 1984م ، صفحة 216)

ثانيا: ويحتمل أن الإشارة على بابها، وهي أن سورة البقرة نزل قبلها سور كثيرة بمكة دالة على التوحيد والشرك، وإثبات النبوة والمعاد، وقوله (ذلك) واقع على تلك السور، من باب إطلاق الكل وإرادة البعض، كقوله تعالى: (إنّا سمعنا قرآنا عجبا)، ولم يسمعوا إلا بعضا منه في ذلك الوقت.

ثالثا: أن ما أشير إليه حاضر، وأن لفظ "ذلك" بمنزلة "ذا" الدال على القرب، وقد دخلت عليه "ها" التنبيه، أي تنبه أيها المخاطب لما أشرت إليه فإنه حاضر لك بحيث تراه، وقد دخلت الكاف للخطاب، واللام لتأكيد مضمون الإشارة.

وعلى هذا فإن لفظ "ذلك" لا يفيد البعد في أصل الوضع، وإنما تختص بذلك عرفا للقرينة، كاختصاص الدابة في العرف بذوات الأربع، وإن كانت تصدق على كل ما يدب على الأرض في أصل الوضع. (الرازي، 1420هـ، صفحة 259)

والملاحظ في هذه الظاهرة أن نكتة العدول هو التعظيم على التوجيه الأول، أو هي من باب المجاز المرسل على التوجيه الثاني، حيث أشار إلى الكل التي هي السور وأراد سورة بعينها وهي سورة البقرة، وهذا من ضمن الاحتمالات التي يستأنس بها ولا تتعين.

2.1.1. نيابة إشارة البعد عن القرب:

قوله تعالى: (وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ)(ال عمران – 181-182)

قوله: "ذلك" مبتدأ وقد تقدم تفصيل إعرابه.

فاسم الإشارة "ذلك" - في الآية – عائد إلى العذاب الواقع بسبب الذنوب والمعاصي، والظاهر أن يكون لفظ الإشارة "هذا" الدال على القرب، ولكنن عدل عنه إلى صيغة البعد لإظهار شناعة المشار إليه وقبحه (الشوكاني، 1414هـ، صفحة 39)، وهذا غرض من أغراض التناوب في أسماء الإشارة.

2.1.2. نيابة القريب عن البعيد:

• قوله تعالى: (وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ)(طه - 16)

لقد تنوعت توجيهات المفسرين في قوله تعالى: (وما تلك):

التوجيه الأول: أي: ما هذه، سؤال من الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام، وذلك لتقرير الأمر وتثبيت الحجة عليه.

فما: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، واسم الإشارة خبر عنه، وبيمينك في محل نصب حال. (أبو البركات النسفي، 1419 هـ - 1998م،، صفحة 360)

فالملاحظ في الآية ظاهرة استخدام اسم الإشارة الدال على البعد مع كون المشار إليه قريبا، وهو المستفهم عنه، وذلك خروج عن مقتضى الظاهر، ولا شك أن لهذا العدول مقصدا محققا مدلولا عليه "بتلك."

ولعل أهم ما ذكر في توجيهه هو تحقير المشار إليه وهو العصا، ليريه الله تعالى عظم ما يخترعه في الخشبة اليابسة، من قلبها حية ويتقرر في نفسه الفرق البعيد بين المقلوب والمقلوب عنه، ولينبهه على ما سيظهر له من الغرابة، وهي إذا قلبها حية علم أنها معجزة عظيمة. (الزمخشري، 1407هـ - 1987م، صفحة 57) (التوحيدي، 2000، صفحة 321)

التوجيه الثاني: إن "تلك" اسم موصول والجار والمجرور صلته (بيمينك) وهذا على مذهب الكوفيين، على حد قول الشاعر: (الطبري، 1422هـ-2001م، صفحة 42)

عدس ما لعباد عليك إمارة ** أمنت وهذا تحملين طليق.

وعلى هذا ليس في "تلك" خروج عن مقتضاها الظاهر، ومذهبهم أن أسماء الإشارة كلها يصح أن تكون أسماء موصولة، وأما أهل البصرة لا يجيزون ذلك إلا في "ذا" بشرطه. (الألوسي، 1994، صفحة 489)

قال ابن مالك في الخلاصة :(ابن مالك الأندلسي، 1442 هـ - 2021 م، صفحة 128)

ومثل "ما" "ذا" بعد "ما" استفهام ** او "من" إذا لم تلغى في الكلام

ويحتمل أن تكون الإشارة الدالة على البعد في الآية للتعظيم، والإطناب في الجواب لأجله، وقوله مآرب أخرى تثمين للاستعظام بأنها أكثر من أن تحصى (ابن مالك الأندلسي، 1442 هـ - 2021 م)

وكل هذه الاحتمالات واردة وصحيحة تنسجم مع المعنى العام الذي يقتضيه المقام.

• قوله تعالى: (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَٰنِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ)(القصص - 14)

قوله: "هذا" مبتدأ مبني على السكون، و"من شيعته" جار ومجرور، متعلق بمحذوف خبر اسم الإشارة، والهاء مضاف إلى شيعة.

إن الشاهد في قوله (هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ) لقد عبر القرآن الكريم بإشارة القرب عن البعيد الغائب والظاهر يقتضي أن يعبر عنه بالإشارة التي تفيد البعد الزماني لكون الرجلين غائبين، ولكن القرآن الكريم عدل عن "هذا" لأجل تنزيل الماضي منزلة الحاضر المشاهد المحسوس، وكأن صورة الحدث حاضرة بين يديك، وهذه حكاية حال قد عبر عنها بـ "هذا" وهي النكتة البيانية في هذا العدول. (أبو السعود، صفحة 6)

ومن هذا القبيل قول جرير :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة ** لو شئت ساقكم إلي قطينا

فأوقع الشاعر الإشارة على البعيد عنه تنزيلا له منزلة الحاضر المشاهد، فلما سمع الخليفة هذا البيت قال: "ما زاد على أن جعلني شرطيا ,لو قال: لو شاء لسقتهم إليه قطينا"، فقد أخطأ عند إسناده الفعل لنفسه دون الخليفة، وهذا لا يليق بشأن الخليفة ومكانته.

ويحتمل أن المسوغ لهذه النيابة ورودها في مقام التفصيل للإجمال الحاصل في قوله: (رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَٰنِ) فاسم الإشارة في هذا النحو لا يراعى فيه قرب ولا بعد كقوله تعالى: (لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ)(النساء - 142) يعني متفقتان كما في الآية أو مختلفتان نحو قول الشاعر :

هذا على الخسف مربوط برمته ** وذا يشج فلا يرثي له أحد (الضبعي، صفحة 507). (ابن عاشور، 1404هـ - 1984م ، الصفحات 88-89)

2.1.3. نيابة إشارة القرب عن إشارة البعد:

• قوله تعالى: (هَٰذَا ذِكْرٌۖ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ)(ص - 48)

قوله: "هذا ذكر" مبتدأ وخبر، والإشارة في الآية إلى ما ذكر من أخبار الأنبياء من قوله تعالى: (وَاذْكُرْ عِبٰدَنَآ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصٰرِ) إلى قوله: (هٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ)

، فقد صح الإخبار باسم الإشارة الدال على القرب عوض "ذلك"، إذ أنهما قد يتعاقبان في كل كلام مذكور، فيؤتى بأحدهما على جهة الإخبار وهذه نكتة بيانية وسر من أسرار العدول في هذا الباب (الفراء، بلا تاريخ، الصفحة 10)

وكقوله تعالى: (ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ)(النبأ - 39) فإن الإشارة فيه إلى اليوم الآخر، وقد جاء لفظه دالا على البعد، مع قرب التكلم وذلك لعظم شأن هذا اليوم الموعود، وكما أن الإشارة تكون للتعظيم والاهتمام بالشيء تكون للتحقير والإهانة وذلك حسب ما يقتضيه المقام، والتعظيم كما يتحقق بالبعد يتحقق بالقرب ففي قوله تعالى مثلا: : (إِنَّ هٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)(الاسراء - 9)، إشارة إلى كونه لا يدرك إلا بالإشارة مع كونه قريبا تعظيما وتقديرا لهذا القرآن قال تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَكِتٰبٌ عَزِيزٌ)(فصلت - 40)، أما دلالة الإشارة على القرب أو البعد لقصد تحقير المشار إليه و إهانته , فيدل القرب على انحطاط رتبته وسفالتها ويدل البعد على عدم نيل المكانة والمنزلة والشأن والعز كقوله تعالى: (فَذٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ)(الماعون - 2)، أي الحقير البعيد عن الرفعة والشرف والعرب تنعت الشخص الحقير بالبعد كقولهم :"قاتل الله الأبعاد" أي الحقير.

ويقرب من هذا الغرض الذي هو التعظيم العناية الكاملة بالشيء نحو قول الشاعر:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ** والبيت يعرفه والحل والحرم. (الفرزدق، 1987، صفحة 5)

2.1.4. العدول عن صيغة المؤنث إلى المذكر:

• قوله تعالى: (فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي) (الأنعام - 79)

قوله: "هذا" في الآية، الهاء فيه حرف تنبيه مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، "ذا" مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، "ربي" خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، "رب" مضاف، و"الياء" مضاف إليه في محل جر بالإضافة.

إن لفظ "هذا" وضع للمفرد المذكر واقعا على الشمس وهي مؤنثة، بدليل قوله: (أفلت) بتاء التأنيث، وإنما عدل عن "هذه" مراعاة للمعنى، وذلك لتأويل الشمس بالنور والضياء، على تقدير هذا الطالع، او أن الشمس لما كانت مجرّدة من علامة التأنيث، وكان معناها مذكرا جاز حينئذ التذكير.

ويحتمل أن الإتيان بصيغة المذكر رعاية الأدب عند ذكر الرب (الرازي، 1420هـ، صفحة 43).

ويضيف الباحث احتمالين:

- الأول: أن إبراهيم عليه السلام قال هذا مراعاة للرب الذي يبحث عنه.
- الثاني: إن المسوغ لتذكير الشمس هو ذكر الكوكب والقمر قبل الشمس.

ومما جاء من الاحتمالات الواردة في هذا الباب أن الغالب في لغة العجم التسوية بين التذكير والتأنيث، وانها لا ترى الفرق بينهما، فليست هناك علامة عندهم للمؤنث تميزه عن المذكر، بل هما في الحكم سواء، ولذلك أشير للمؤنث بصيغة المذكر، عند حكاية كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام، لكن لما أخبر عن المؤنث بقوله "بازغة" و"افلت" جاء على وفق ما تقتضيه العربية من لحاق علامة التأنيث فيها، وليس ثمت حكاية. (أبو حيان)

2.2.العدول في التذكير والتأنيث:

2.2.1. نيابة المذكر عن المؤنث:

• قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)(الصافات – 14-15)

قوله: "إن" نافية ملغاة، و"هذا" الهاء منه حرف تنبيه لا محل له من الإعراب، و"ذا" مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، و"إلا" أداة حصر، و"سحر" خبر اسم الإشارة.

قوله: إن هذا إشارة إلى "آية" التي هي الحق أو القرآن وهي مؤنثة، والأصل أن يشار إليها "بهذه"، ولكن لما كانت الآية بمعنى السحر عندهم جاء لفظ الإشارة مذكرا تغليبا لهذا المعنى الذي أرادوه، وهو السحر، بدليل قوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ)(يونس - 76). (الزجاج، صفحة 300) (الزركشي، صفحة 340)

وهذا نظير قوله تعالى: (وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ)(النحل - 116)

فالإشارة في قوله "هذا" إشارة إلى المحرمات الأربع، التي هي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكل ما حرموه على أزواجهم، والأصل أن يقال هذه لتأنيث المشار إليه، ولكن جاء لفظ الإشارة مذكرا مراعاة لـ "ما" الموصولة، فاعتبر لفظها وهو مذكر، أي لا تقولوا - للذي أحل الله - هذا حرام، والمعنى العام النهي عمّا وصفته ألسنتهم من الأنعام بالحل والحرمة، في قولهم (وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا)(الأنعام - 140)، إذن النكتة في هذا العدول تغليب جانب اللفظ على جانب المعنى. (القرطبي أ.، 1384هـ-1964م، صفحة 196) (الزركشي، صفحة 606)

• قوله تعالى: **(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ)إلى قوله:(ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ)**(المائدة - 4)

إن اسم الإشارة في الآية "ذا" مبني على السكون في محل رفع مبتدأ و"اللام" للبعد، و"الكاف" للخطاب، و"الميم" للجمع، و"فسق" خبره، وقد وقع مذكرا، والمشار إليه مؤنث وهو جميع المعطوفات المحرمة في الآية الكريمة، وذلك لتأويلها بالمذكور، وهو السر في العدول عن مقتضى الظاهر، ويحتمل ان تكون الإشارة على بابها، وذلك لإرادة المصدر وهو التناول، لأن تناولها هو المحرم وليس الذات، وعليه فالمطابقة حاصلة بين اسم الإشارة والمشار إليه، وليس في هذا عدول (النسفي، 1419 هـ - 1998م، الصفحة311)

• قوله تعالى: **(أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ)**(ال عمران - 165)

أشار القرآن بصيغة الإفراد والتذكير إلى المصيبة التي من شأنها أن تؤنث بلفظ "هذه"، ولكن عدل عن هذا لإرادة عين المصيبة التي هي الحدث، وهو انهزام المسلمين يوم أحد بسبب مخالفة بعض الصحابة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، والمصيبة لفظ عام يصدق على جميع افراد الحدث الذي هو الانهزام، فكانت الإشارة إلى المعنى دون اللفظ، تصويرا للحدث يومئذ كأنه مشاهد((الألوسي، 1994، الصفحة 327).

• قوله تعالى: (فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ)(القصص - 32)

إن اسم الإشارة في قوله: "فذانك" مبتدأ مبني على الكسر و"الفاء" بحسب ما قبلها، و"الكاف" للخطاب، و"برهانان" خبر مرفوع بالألف لأنه مثنى، و"النون" عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

جاءت الإشارة في الآية الكريمة إلى اليد والعصا، وهما مؤنثان، والقياس يقتضي أن يقال "تانك"، ولكن ذكر لفظ الإشارة ليناسب الخبر الذي هو البرهان، وهو مذكر لأن المبتدأ نفس الخبر في المعنى والحكم (ابن عاشور، 1404هـ - 1984م ، صفحة 115). وعليه فإن ظاهرة العدول في هذه الآية هو تحقيق المناسبة بين الجزئين أي: المبتدأ والخبر.

2.2.2. أولائي:

• قوله تعالى: **(وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ)**(يونس - 18)

نصّ النحويون على أن "أولائي" للجمع العاقل غالبا، وقد استعمله القرآن الكريم أحيانا لغير العقلاء، وذلك لوصفه بما يوصف به العاقل، من باب المجاز، ومن الإشارة إلى هذا قوله في الآية: (هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا) أشير بـ"هؤلاء" إلى الأصنام لعبادتهم لها (النسفي، صفحة 12)، التي هي من شأن العقلاء ، ونكتة العدول في هذا هو تنزيل غير العاقل منزلة من يعقل.

و"هؤلاء" في الآية "الهاء" فيه حرف تنبيه و"أولاء" اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، و"شفعاؤنا" خبر مرفوع، وهو مضاف و"نا" مضاف إليه مبني على السكون في محل جر، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب مقول القول، على حد قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ ا) إلى قوله: (كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاًۚ)(الاسراء - 36)، قوله: "أولئك" إشارة إلى أعضاء الإنسان المذكورة في الآية تنزيلا لهن منزلة العقلاء، بناء على أن أولائي تختص بالعقلاء، وقد صحت لغيرهم لكونها تشهد على أصحابها يوم القيامة، خلافا لمن يرى اطلاقها على الكل. (بن عطية، 1442هـ، صفحة 111)

2.2.3. باب نيابة المؤنث عن المذكر:

• قوله تعالى: (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَاتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍۚ)(هود - 58)

قوله: "وتلك عاد" مبتدا وخبر وقد تقدم مثله .

جيء باسم الإشارة مؤنثا مع أن لفظ "عاد" مذكر على إرادة القبيلة أو الأمة، وأن الإشارة على بابها واقعة على قبورهم وآثارهم.

فنكتة التأنيث على الاحتمال الأول بدل التذكير الذي هو ظاهر، هو اعتبار القبيلة أو الأمة، والبعد في الإشارة لإفادة التحقيق، أو أنهم لما صاروا إلى العدم نزلهم منزلة البعيد.

كما ان الغرض هنا التحقير، فقد يكون للتعظيم كقوله تعالى: (وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَۚ)(الحشر - 9)، إشارة إلى "من" الموصولة باعتبار معناها العام، لأن لفظها مفرد، وهي من ألفاظ العموم، فقد يراعى لفظها وقد يراعى معناها (ابن عاشور، 1404هـ - 1984م ، صفحة 105).

2.3.العدول في الإفراد والتثنية والجمع:

2.3.1. العدول عن المثنى إلى الجمع:

• قوله تعالى: (فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْۚ)(البقرة - 53)

قوله: " ذلكم" وهو مبتدأ خبره خير .

الشاهد في قوله (ذَٰلِكُمْ) أشار القرآن الكريم بلفظ الجمع مع أن المشار إليه مثنى يقتضي أن يقال "ذلكما" المدلول عليهما بقوله (فَتُوبُوٓاْ) و (فَاقْتُلُوٓاْ) وذلك لتأويلهما بالمذكور، على حد قوله تعالى: (عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۚ)(البقرة - 67) أي الفارض والبكر، والقياس يقتضي التثنية، ولكن جاء مفردا على التأويل بالمذكور، فتلك نكتة العدول، وهذا الأسلوب شائع في القرآن الكريم (المناوي، صفحة 101).

ومن هذا القبيل قوله سبحانه وتعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ)(النور - 26) حيث عدل القرآن الكريم عن التثنية إلى الجمع، الإشارة عائدة إلى عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل رضي الله عنه،

الله برئهما مما فاه به الخبيثون من الإفك والبهتان، وعليه فالجمع يقع على الواحد والإثنين من باب التعظيم، وهذا على أحد التفسيرات التي يستأنس بها. (الألوسي، 1994، صفحة 326) (القرطبي، صفحة 212)

وقيل عائدة على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مطلقا، وقيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة وصفوان، كل ذلك محتمل (الزركشي، صفحة 28)، على حد قوله تعالى: (وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ)(الأنبياء - 77) ثم قال بعد ذلك: (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ) بصيغة الجمع، وهو كثير في القرآن الكريم وفي كلام العرب، كقول زهير بن أبي سلمى: (الزَّوْزَني أبو عبد الله، صفحة 152)

سئلنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ** ومن أكثر التسآل يوما سيحرم.

وفي التثنية دليل على أن الجمع أقله اثنان .

2.3.2. وقوع المفرد موقع الجمع: ومن وقوع المفرد موقع الجمع:

• قوله تعالى: (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ) إلى قوله: (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)(البقرة - 217)

قوله: "كذلك" الكاف الداخلة على اسم الإشارة حرف تشبيه مبني عل الفتح في محل نصب صفة لموصوف محذوف وهو المصدر، والتقدير تبيينا مثل ذلك يبين الله أو في موضع نصب عل الحال على تقدير يبين التبيين مماثلا ذلك. (التوحيدي، 2000، صفحة 408)

فاسم الإشارة "ذلك" مفرد مشار به إلى كل إنسان وهو جائز أن يشار به إلى الجمع، بدليل قوله: (يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ) ويمكن أن يكون عائدا على النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به هو وأمته، ولعل هذا من باب قول العرب " إياك أعني واسمعي يا جارة"، ونظيره قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ)(الطلاق - 1). (ابن مخلوف الثعالبي، 1418هـ)

2.3.3. نيابة المفرد عن الجمع والمثنى:

• قوله تعالى: (وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرَۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(ال عمران - 48)

الإعراب: قوله": "ذ" اسم إشارة مبني على السكون في محل جر، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، و"اللام" للبعد، و"الكاف" للخطاب، وقوله: " لآية" "اللام" لام ابتداء أو توكيد أو مزحلقة، و"آية" اسم إن مؤخر، "لكم" جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة .

الملاحظ في هذه الآية أن الإشارة جاءت بصيغة الإفراد، مع أن المشار إليه جمع، وهو كل ما تقدم من المعجزات والخوارق، والسر في هذا العدول هو ان الاشارة ضمنت معنى ما تقدم أو ما ذكر، والذي تقدم جمع وليس بمفرد. (صالح، 1418 هـ)

ونحو قوله تعالى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلاً سُبْحَٰنَكَ)(ال عمران - 191)

قوله "هذا" "الهاء" فيه حرف تنبيه، و"ذا" اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به لـ: "خلقت"، وقد جاء المشار به مفردا مع كون السماوات والأرض مؤنثين وكان القياس باعتبار الظاهر أن يقال هاتين بدل هذا، ولكن عدل عن التثنية إلى الإفراد باعتبارهما مخلوقين، كأنه قال هذا المخلوق العجيب، والسر في هذا العدول الدلالة على التعظيم، ويحتمل أن الإشارة عائدة على الخلق بمعنى المخلوق، وعليه فالمطابقة حاصلة بين المشار به والمشار إليه (الزمخشري، 1407هـ - 1987م، صفحة 454) (الزركشي، صفحة 470)

ومن العدول عن الإفراد إلى التثنية قوله تعالى: (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ)(الشورى - 41)، فقد أفرد اسم الإشارة مع أن المشار إليه مثنى يقتضي ظاهره أن يقال "إن ذينك" أي: الصبر والغفران المفهومين من الفعلين "صبر وغفر"، وقال "ذلك" تأويلا لهما بالمذكور، وتلك هي النكتة المستفادة من الآية، وهذه الأغراض كثيرة، منها قوله تعالى:(فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ)(المومنون - 7) حيث جاء اسم الإشارة بصيغة الجمع مع أن المشار إليه الأزواج والأيامى، والسر في هذا تأويل المشار إليه بالمذكور، حيث روعي الشيء المتقدم في الذكر بغض النظر عن ملاحظة لفظ الجنس الذي هو الأيامى والأزواج.

خاتمة:

وفي الختام يمكن تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها من خلال ما تولد عن هذه الدراسة:

- إن ظاهرة الخروج عن الأصل في الاستعمال اللغوي لم يكن أمرا اعتباطيا في التعبير القرآني بل يتضمن مكنونات وأسرار مقصودة تتعلق بالمعاني أو المباني أو بهما معا, فلا يعدل عن الأصل إلا لنكتة أو غاية.

- إن ظاهرة العدول في أسماء الإشارة لا شك أنها تشتمل على أغراض مقصودة نحو التعظيم والتهكم والتمييز والتأويل بالمذكور...إلخ

- إن التوجيهات التي ذكرها المفسرون واللغويون لظاهرة العدول أمر احتمالي غير مجزوم به يتردد بين الراجح والمرجوح إذ قد يظهر للمتأخر من النكت والدرر ما يخفى على المتقدمين إذ القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ولا تنقضي أسراره وعجائبه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

- إن ظاهرة العدول في القرآن الكريم تعد من دلائل إعجازه وبلاغته التي تستوجب الدراسة الدقيقة

- إن النكت البلاغية -التي من أجلها وقع العدول- كثيرة متنوعة تختلف باختلاف المقام الذي سيقت فيه

- من المؤكد أن هذه الظاهرة لا يقتصر فيها على نحو ما ذكرنا من التوجيهات بل لا بد من إحاطة كل ما يتعلق بالنص القرآني من خلال آليات النظر والمعرفة الموصلة إلى الأسرار والدرر التي تختفي وراء هذا النص

- ظاهرة العدول في القرآن عموما تثير في السامع الحيرة التي تبعثه على النظر الدقيق للبحث عن التفسيرات الجديدة والأبعاد الجمالية الناتجة بسبب الخروج عن النمط المعهود لدى المتلقي

- الدلالة على إعجاز القرآن الكريم الجامع للمعاني العظيمة والمتفردة المحتوي على الاختلاف التنوعي الذي تتجلى بواسطته دقة أسلوبه وبلاغته وفصاحته .

المراجع

1) أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي. (1994). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (علي عبد الباري عطية، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. (1422هـ-2001م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) (المجلد 1). (د عبد الله بن عبد المحسن التركي، المحرر) القاهرة، مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
3) أبو حيان الأندلسي. (1988م). ارتشاف الضرب من لسان العرب (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
4) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي التوحيدي. (2000). البحر المحيط. بيروت: دار الفكر.
5) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧ هـ). (بلا تاريخ). معاني القرآن. مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.
6) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن ابن مخلوف الثعالبي. (1418هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن. (الشيخ محمد علي معوض، و الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، المحررون) بيروت: دار إحياء التراث العربي.
7) أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي. (1442 هـ - 2021 م). الخلاصة في النحو، ألفية ابن مالك. (د عبد المحسن بن محمد القاسم، المحرر)

8) أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي ابن مالك. (1442ه). لامية الأفعال (المجلد 1). (عبد المحسن بن محمد القاسم، المحرر)
9) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري الرازي. (1420ه). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
10) أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي. (1384ه-1964م). الجامع لأحكام القرآن. (أحمد البردوني، و إبراهيم طفيش، المحررون) القاهرة، القاهرة، مصر: دار الكتب المصرية.
11) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي بن عطية. (1442ه). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (عبد السلام عبد الشافي محمد، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
12) الأندلسي أبو حيان. (بلا تاريخ). التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. (حسن هنداوي، المحرر) دمشق، دمشق، سوريا: دار القلم.
13) الجوهري. (بلا تاريخ). مختار الصحاح.
14) الحسن علي بن إسماعيل المرسي ابن سيده. (1421ه-2000م). المحكم والمحيط الأعظم (المجلد 1). (عبد الحميد هنداوي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
15) الزجاج. (بلا تاريخ). معاني القرآن وإعربه.
16) الزركشي. (بلا تاريخ). البحر المحيط.
17) الزمخشري محمود بن عمر بن أحمد (ت 538 الزمخشري. (1407ه - 1987م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (المجلد 1). (مصطفى حسين أحمد، المحرر) القاهرة- بيروت: دار الريان للتراث- دار الكتاب العربي.
18) العمادي محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود. (بلا تاريخ). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
19) القرطبي. (بلا تاريخ). أحكام القرآن.
20) المتلمس الضبعي. (بلا تاريخ). ديوان المتلمس الضبعي (المجلد 1). (حسن كامل الصيرفي، المحرر) القاهرة: منشورات معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية.
21) المناوي. (بلا تاريخ). فتح القدير.
22) النسفي. (بلا تاريخ). مدارك التأويل وحقائق التنزيل.
23) باي بلعالم. (بلا تاريخ). التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة. باتنة: عامر قرصي.
24) جلال الدين محمد بن عبد الرحمان (ت 739) القزويني. (1993م). الايضاح في علوم البلاغة (المجلد 1). بيروت: دار الفكر.
25) حسين بن أحمد الزَّوْزَني أبو عبد الله. (بلا تاريخ). شرح المعلقات السبع. دار احياء التراث العربي.
26) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري 577هـ (1405ه). نزهة الألباء في طبقات الأدباء (المجلد 3). (إبراهيم السامرائي، المحرر) الزرقاء ، الزرقاء ، الأردن: مكتبة المنار.
27) عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت 710ه) أبو البركات النسفي. (1419 هـ - 1998م،). تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (المجلد 1). (يوسف علي بديوي، المحرر) بيروت: دار الكلم الطيب.

28) عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري ابن عقيل. (1400هـ- 1980م). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (المجلد 20). (محمد محيي الدين عبد الحميد، المحرر) القاهرة، مصر: دار التراث للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاؤه.

29) عبد الواحد صالح. (1418 هـ). الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

30) علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني. (1419هـ - 1998م). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

31) كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات الأنباري. (1405هـ-1985م). نزهة الألباء في طبقات الأدباء. (إبراهيم السامرائي، المحرر) الزرقاء، الزرقاء ، الأردن: مكتبة المنار.

32) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. (1426هـ). القاموس المحيط (المجلد 8). (محمد نعيم العرقسُوسي، المحرر) بيروت ، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

33) محب الدين بن أحمد المعروف بناظر الجيش. (1428هـ - 2007). شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعدبشرح تسهيل الفوائد. القاهرة - مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

34) محمد الطاهر ابن عاشور. (1404هـ - 1984م). التحرير والتنويرتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد). تونس: الدار التونسية للنشر.

35) محمد بن علي الصبان. (2009م-1430هـ). حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية بن مالك. (عبد الحميد هنداوي، المحرر) صيدا، بيروت، لبنان: دار المكتبة العصرية.

36) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت الشوكاني. (1414هـ). فتح القدير. دمشق- بيروت: دار ابن كثير- دار الكلم الطيب.

37) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى ابن منظور. (1414هـ). لسان العرب (المجلد 3). بيروت: دار صادر،.

38) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش. (1415هـ). إعراب القرآن وبيانه. حمص - سورية: دار الارشاد للشؤون الجامعية.

39) نصر الله بن محمد (ت 637هـ) ضياء الدين بن الأثير. (بلا تاريخ). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. (أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، المحررون) الفجالة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

40) همام ن غالب بن صعصعة الفرزدق. (1987). ديوان الفرزق (المجلد 1). (علي فاعور، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.